النشـــــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٩ / ٢٠٠١

الأحد ٤ آذار

الأحد الأول من الصوم

أحد الأرثوذكسية

تذكار أبينا البار جراسيموس

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر الرابع

الـــرســـالـــة (عبرانيين ١١ : ٢٤-٤٠)

الإنـــجـــيـــل (يوحنا ١ : ٤٤-٥١)

+ دستور الإيمان

« وقُبر وقام في اليوم الثالث »

«ويصنع رب الجنود لجميع الشعوب في هذا الجبل وليمة سمائن يبلعُ الموت إلـــى الأبد ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه وينزع عار شعبه عن كل الأرض لأن الـرب قد تكلم. ويُقال في ذلك اليوم هوذا هذا إلهنا انتظرناه فخلّصنا. هذا هو الرب انتظرناه. نبتـــهج ونفرح بخلاصه» (اشع ٢٥: ٦و٨و٩).

تشكل قيامة الرب يسوع العقيدة الأساسية التي يرتكز عليها الإيمان المسيحي، حتى إن بولس الرسول يقول «إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضًا إيمانكم» (١كـــور

١٥:١٤). لكن قيامة يسوع نابعة من القبر المعطي الحياة، كما نردد في صلواتنا. «وأعرفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وبع أيضًا تخلصون فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضًا ان المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وانه دُفن وانه قام في اليوم الثالث حسب الكتب» (١كور ١٥: ١-٤).

تشديد دستور الإيمان على تعبير «وقُبر» الذي يتضمن الموت بالطبع، هو للتأكيد على العلاقة الوثيقة بين موت يسوع على الصليب وتمجيد يسوع، إذ من القبر نبعت الحياة من جديد. كان لا بد ليسوع أن يمر بالصليب والقبر ليتمجد، ليقوم من بين الأموات، (لأن يسوع بلغ على الصليب قمة التخلي عن ذاته)، وتجلت محبته اللامتناهية وطاعته للآب «حتى الموت موت الصليب، لذلك رفعه الله أيضًا وأعطاه اسمًا فوق كل اسم» (في ٢: ٨و٩).

قبل أن ينطلق يسوع إلى الصليب «رفع عينيه نحو السماء وقال أيها الآب قد أتت الساعة (ساعة الصليب) مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضًا» (يو ١٧: ١). تمجيد يسوع بدأ في موته. بموته دخل يسوع في السجن الذي كنا فيه مقيدين، مستعبدين، ودك هذا السجن محطمًا إياه من أساسه لما قام من بين الأموات. لقد «ابتلع الموت إلى غلبة، أين شوكتك يا موت، أين غلبتك يا هاوية ولكن شكرًا لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح» ١ كور ١٥: ٥٥ و٥٧). لما دخل يسوع في القبر ظن الموت انه انتصر، وان كل شيء قد انتهى. ظن الشيطان انه يستطيع أن يضبط صخرة الحياة في القبر. لكن المسيح نزل إلى عقر دار الشيطان ليجابهه ويخلص جنس البشر من سلطانه. وهذا حصل عندما قام يسوع من بين الأموات وأبطل قوة الشيطان: «آخر عدو يبطل هو الموت» (١كور ١٥: ٢٦).

لقد دخل يسوع في المجد عندما قبل الموت على الصليب، ولم يبق بعد ذلك إلا أن يظهر هذا المجد بنهوضه من بين الأموات، بخروجه من القبر. هذا القبر الذي كان يظنه الكثيرون النهاية. قام يسوع ليؤكد لنا ان القبر ليس نهاية بحد ذاته بل بداية جديدة لكل واحد منا «لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع» (١كور ١٥: ٢٢)، وما قيامته إلا تأكيد على أننا سنقوم في اليوم الأخير «فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام» (١كور ١٥: ١٣).

لا بد من التشديد على ان قيامة يسوع كانت بالروح والجسد: «وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم سلام لكم. فجزعوا وخافوا وظنوا انهم نظروا روحًا. فقال لهم: ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم. انظروا يدي ورجلي اني أنا هو. جسوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي» (لو ٢٤: ٣٦-٣٩). ثم ناوله التلاميذ سمكًا مشويًا وشيئًا من شهد عسل «فأخذ وأكل قدامهم» (لو ٢٤: ٤٣).

موت يسوع وقيامته جاءا تحقيقًا لما ورد في الكتب المقدسة في العهد القديم. لذلك يشدد دستور الإيمان على عبارة «وقُبر وقام في اليوم الثالث على ما جاء في الكتب». «من يد الهاوية أفديهم، من الموت أخلصهم. أين أوباؤك يا موت، أين شوكتك يا هاوية» (هوشع ١٣: ١٤).

لقد وعت الكنيسة دومًا انه بالصليب تحققت القيامة وان القبر هو نبع الحياة الجديدة. هذا ما فهمته من الحدث العظيم الذي رافق موت يسوع المسيح على الصليب، إذ لما أسلم يسوع الروح انشق حجاب الهيكل والأرض تزلزلت «والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور من بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين» (متى ٢٧\٢٤: ٥٢و٥٣). قام كثيرون لحظة موت يسوع ولكنهم لم يخرجوا من القبور إلا بعد قيامته لأنه «هو البداءة بكرٌ من الأموات لكي يكون هو متقدمًا في كل شيء» (كو ١: ١٨)، «الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين» (١كور ١٥: ٢٠). إذا لحظة الموت على الصليب هي بداية القيامة، أما كما لها فعندما وجدت النسوة الحاملات الطيب القبر فارغًا. لذلك فإننا ننشد في خدمة جناز المسيح تبريكات القيامة، لأننا عالمون ان الحياة تنبع من القبر.

+ إنجيل متى

لطالما اعتُبر إنجيل متى الإنجيل الكنسي بامتياز. هو ليس الإنجيل الوحيد الذي يستعمل كلمة «كنيسة» (متى ١٦: ١٨؛ ١٨: ١٧)، لكنه بمحتواه وتأليفه بمثابة مرشد للجماعة المؤمنة. لقد كان إنجيل متى، منذ البداية، الإنجيل الأكثر استعمالاً في الكنيسة في عبادتها، وكان النص الأكثر استعمالاً في البشارة والتفسير. وقد استشهد به القديس أغناطيوس الإنطاكي.

+ المؤلف:

هو، بحسب التقليد، متى أحد التلاميذ الإثني عشر، وهو الذي دعاه الرب يسوع فيما كان عند مكان الجباية (متى ٧: ٩).

+ مكان التأليف وزمانه:

من المرجّح أن تكون المنطقة السورية هي المكان الذي كُتب فيه إنجيل متى. لكن النص لا يوفر لنا معلومات أكثر دقة حول المكان (أنطاكية في سورية، دمشق، صور، صيدا، سورية الداخلية). ويُرجح أنه كتب حوالي السنة ٩٠م.

+ خلفية الإنجيل:

إنجيل متى موجه إلى مسيحيين من أصل يهودي كونوا ما يمكن أن نسميه (كنيسة) متى. لهذا نرى فيه كثافة استشهادات من العهد القديم. كان لا بد لمتى أن يبرهن لهم أن يسوع هو بالحقيقة المسيح المنتظر الذي فيه تحققت النبوءات، ولكن ليس بالصورة التي كانوا ينتظرونه بها (ملك أرضي يخلّص شعبه من أعدائه وينتصر عليهم). ومن هذه الاستشهادات ندرك فهم متى ليسوع وكيف حقق الشريعة وأتى بتاريخ إسرائيل الخلاصي إلى تمامه.

من هذه الاستشهادات نعلم أن يسوع هو **عمانوئيل**، الله معنا (١: ٢٣؛ أنظر أش٧: ١٤)، وهو **ابن الله** (٢: ١٥؛ أنظر هو ١١: ١). نعلم أنه من الناصرة (٢: ٢٣؛ أنظر قضاة ١٣: ٥؛ أش ١١: ١)، ولكنه وُلد في بيت لحم على أنه مدبر للشعب (٢: ٦؛ أنظر ميخا ٥: ٢). أُعلنت ملكيته عند دخوله إلى أورشليم (٢١:٥؛ أنظر زخر٩:٩)، ولكنه أيضًا **عبد الله المختار** الذي يحمل أسقام الآخرين (٨: ١٧؛ أنظر أش ٥٣: ٤)، وهو **خادم** لا يرغب الظهور (١٢: ١٨-٢١؛ أنظر ٤٢: ١-٤)، ويتكلّم بأمثال (١٣: ٣٥؛ مز ٧٨: ٢) يخونه أحد رفقائه من أجل المال (٢٧: ٩-١٠؛ أنظر أرميا ١٨: ١-٣). مهمته تتخطى إسرائيل، لأنه سيعلن العدل للأمم وعلى اسمه سيكون رجاؤهم (١٢: ١٨، ٢١؛ أنظر أش ٤٢: ١-٤). وهو الجليل الأمم ولكل الشعوب (٢٨: ١٩)، النور العظيم الذي يشرق على الذين يجلسون في الظلمة (٤: ١٥-١٦؛ أنظر أش ٩: ١-٢).

+ لاهوت الإنجيل:

تشكل الآيات الأخيرة من إنجيل متى (٢٨: ١٦-٢٠) تصميمًا لإنجيله ككّل، كما تلخص رسالته وواقع الجماعة التي كُتب الإنجيل من أجلها.

«وأما الأحد عشر تلميذًا فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع» (٢٨: ١٦): لقد بدأ يسوع بشارته من الجليل (٤: ١٢) وأنهى بشارته على الأرض في الجليل أيضًا (٢٨: ١٦). وهذا يدل على عالمية البشارة، إذ إن سكان الجليل كانوا من اليهود والوثنيين. لقد أرسل يسوع تلاميذه أولاً إلى «خراف بيت إسرائيل الضالة» (١٠: ٦)، غير أن ذلك لا يتعارض مع عالمية بشارة يسوع؛ يظهر يسوع في ١:١ على أنه «ابن ابراهيم» والسلالة تبدأ بإبراهيم (١: ٢) وهذا يشكّل منظوراً عالميًا، إذ إن الله قادر أن يجعل من الحجارة أولادًا لإبراهيم (٣: ٩)؛ أتى يسوع من سلالة فيها أربع نساء غير يهوديات (١: ٣-٦)؛ يأتي المجوس ليسجدوا ليسوع عند مولده (٢: ١١). كل ذلك يدل على أنه ليس فقط بعد رفض اليهود ليسوع، ولكن منذ البدء شمل عمل الله الخلاصي الأمم.

«ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا» (٢٨: ١٧): لقد وعى متى أن جماعته ستكون عرضة لمصاعب واضطهادات من قِبَلْ اليهود أنفسهم ومن قِبَلْ الأمميين (١٠: ١٦-٢٣)، وهذا سيؤثر عليها كثيرًا وقد يشك البعض، فكان عليه أن يقنعهم بأن يسوع هو المسيَّا المنتظر الذي سيخلّصهم من خطاياهم (١: ٢١). ويمثّل بطرس في شخصه هذه المواقف المتناقضة من اليقين والشكّ (١٤: ٢٨-٣٣؛ ١٦:١٦، ٢٢-٢٣).

«فتقدّم يسوع وكلّمهم قائلاً، دُفع إليّ كلّ سلطان في السماء وعلى الأرض» (٢٨: ١٨): يركز إنجيل متى على أمرين، يسوع على أنه المسيح واقتراب ملكوت الله الذي يعلنه يسوع. هذان الموضوعان مترابطان في بدء الإنجيل، حيث يظهر يسوع على أنه ابن الله وعمانوئيل، الله معنا، وفي نهاية الإنجيل، حيث يُعطى يسوع كلّ سلطان (إلهي)، في السماء وفي الأرض، أي في ملكوت الله.

أدرك الشعب هذا السلطان المُعطى ليسوع، «لأنه كان يعلّمهم كمن له سلطان، وليس كالكتبة» (٧: ٢٩)، إلا أن البعض (رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب) شكّك بمصدر هذا السلطان: «بأي سلطان تفعل هذا، ومن أعطاك هذا السلطان؟» (٢١: ٢٣)، لأن تعليم يسوع ظهر وكأنه مخالف للشريعة. لذا أراد متى أن يحدّد موقف يسوع من الشريعة، فهو لم يأتِ لينقض بل ليكمل (٥: ١٧). ولكن سلطان يسوع تخطى ذلك ليعلن نيّة الله من تعاليم الشريعة، ويعطيها بُعدها الحقيقي القائم على المحبة. إنه رب الشريعة (١٢: ٨).

«فاذهبوا وتلمذوا كل الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (٢٨: ١٩): يشدّد متى على موضوع التلمذة ليسوع، أي أن يكون الكل تلاميذ له. وعلى التلميذ أن ينقل البشارة إلى كل الناس، بغض النظر عن إنتماءاتهم، فالبشارة هي عالمية. أن تكون مسيحيًا بالنسبة لمتى، يعني أن تكون تلميذًا، وتتحقق التلمذة في اتباع المسيح. والتلاميذ في إنجيل متى يمثلون الجماعة، أي الكنيسة، فما يطلبه يسوع من تلاميذه يطلبه من الكنيسة، وعليه فإن العمل البشاري لا يقتصر على التلاميذ، بل على كل فرد من أفراد الكنيسة، وهكذا يصير الكل تلاميذ ليسوع. لذلك يشدّد متى على فهم التلاميذ لعمل يسوع (١٣: ٥١) لأنه على عاتقهم تقع مسؤولية التعليم.

«وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (٢٨: ٢٠): وصية يسوع هي العمل بمشيئة الله (الصلاة الربية). أن تؤمن بيسوع يعني في الوقت نفسه أن تعمل مشيئته. فكما يفهم يسوع رسالته على أنها تتميم لكل بر (٣: ١٥)، هكذا يكون البر مركز فحوى إنجيل متى التعليمي (٥: ٦،١٠، ٢٠؛ ٦: ١، ٣٣؛ ٢١: ٣٢). وهذا البر «الأفضل» يظهر في متى على أنه الشرط للدخول إلى ملكوت السموات (٥:

٢٠)، وهذا يعبّر عنه بموقف عملي عن طريق الخدمة (٢٠:٢٠ وما يليها)، وأعمال الرحمة والمحبة (٢٥: ٣١-٤٦). وهدف هذا البر «الأفضل» هو الكمال (٥: ٤٨)، وتكون أعمال الإيمان هي المعيار لكل إنسان في الدينونة الأخيرة (٢٥: ٣١-٤٦).

لقد عرفت الكنيسة متى نفسها على انها نشأت على وعد القائم من بين الأموات أنه سيكون مع كنيسته إلى انقضاء الدهر (١٨: ٢٠؛ ٢٨: ٢٠)، وكما ابتدأ الإنجيل بيسوع الذي هو عمانوئيل، الله معنا، هكذا ينتهي بهذا الوعد.

+ تأمل

أنتم يا أحبائي قوموا قلوبكم ومهدوها لقبول بشارة الإنجيل، ولا تخنق قلوبكم اهتمامات العالم الكثيرة. فلنطلب ما هو ضروري لا ما هو للتنعّم. «إنما الحاجة إلى واحد» (لوقا ١٠: ٤٢) كما قال الرب. وليس شيء أعلى قدراً من النفس، فلنهتم ونستعد كل يوم لأجلها ولا نغني زماننا في الاهتمام بالجسد. لكن إذا جاع الجسد وطلب طعامًا فتذكر أنت أن النفس تطلب حاجتها أيضًا. وكما أن الجسد لا يستطيع أن يحيا بدون أن يستعمل الخبز، كذلك النفس تكون مائتة إن لم تغتذِ بالحكمة الروحانية، لأن الإنسان من نفس وجسد. لذا قال المخلص: «وليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة من عند الرب» (متى ٤: ٤). فأنت كوكيل حكيم (لوقا ١٢: ٤٢) أعطِ إذًا النفس أغذية النفس، وامنح الجسد أغذية الجسد، ولا تدع نفسك تموت. لكن غذها بالأقوال، بالمزامير والتسابيح، بالترنيمات الروحية، وبقراءة الكتب الإلهية، بالأصوام والأسهار، بالصلوات والعبرات، بالرجاء والهذيذ في الخيرات المنتظرة.

فمن يزرع في جسده التمتع بالعالم والتنعّم والأغذية فمن جسده يحصد الفساد، ومن يزرع في الروح صلاة وسهرًا وصومًا فمن الروح يحصد الحياة الأبدية (غلا ٦: ٨).

لنضع أمام أعيننا كل حين الآتي ليدين الأحياء والأموات، ولنتذكر دائمًا الحياة الخالدة والملكوت الذي لا يفنى والتصرف مع الملائكة والعيش مع المسيح. تذكر أن ليس في العالم سوى الدموع والتعييرات، المثالب والأتعاب، الأمراض والشيخوخة، الخطايا والموت. فلا تحب العالم. تذكر القائل «صلوا بلا انقطاع» (١ تسا ٥: ١٧). ما دام لنا وقت للتوبة فلنداوِ بالعبرات ما اجترمناه وأثمنا به. فوقت التوبة قليل وملكوت السموات لا نهاية له.

نحن نطوِّب القديسين ونتوق إلى أكاليلهم ولكننا لا نشاء أن نتشبه بهم في جهادهم. أتظنون أنهم كلّلوا بغير أتعاب وأحزان؟ أتريد أن تسمع شيئًا عن أية راحة كانت في هذا العالم للقديسين؟ (هذا هو فحوى رسالة أحد الأرثوذكسية التي نقرأها هذا الأحد). لقد كانوا في وسط

هذه الشدائد، في سرور عظيم وكابدوها وأشباهها بما أن نظرهم كان متجهًا نحـــو الخـــيرات المعدة في السموات.

القديس افرام السرياني